الأغانى المصرية

للفنان محمد السيد المويلحى

أعتقد أن أسمى اللغات قاطبة وأقربها إلى العقل والقلب ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً فى مسالك الأرض : هى الموسيقى وحدها لأنها لغة الطبيعة السهلة التى تجرى على كل لسان لتعبر عن خواجله ، وتترجم إحساسه وتصور أمله وعقله ، بل وتسجل مقدار ما يتمتع به من حضارة وسمو ، أو ما هو عليه من انحطاط وخمول !

ولا أحب فى هذا المقام أن أستشهد بأقوال حكماء العالم فإنها معروفة ، وإنما أحب أن أركز هذه الأقوال جميعاً فى جملة واحدة للحكيم الصينى (كونفوشيوس) الذى قال : « أروني أغانى أمة من الأمم أركم مدى ما وصلت إليه من حضارة ورقى ... ! »

وقبل أن أعرض مع القارئ سلم ما وصلت إليه (أغانينا) من حضارة ورقى أو انحطاط وهبوط ، سأحاول — ما استطعت — أن أعطيه فكرة عن الأغانى فى شىء من الإيجاز ، فإن للاسهاب وقتاً آخر .

١ — الأغانى الوصفية : وتشمل الموسيقى المسرحية ومحاكاة ما تسمعه الأذن من التفاعيل الطبيعية .

٢ — الأغانى الحماسية : وتستعمل فى إشعال النفوس وتهيئتها لجو الحروب ، والتضحية ، والفداء ...

٣ — الأغانى الشعبية : وتمتاز بلونها السهل الذى لا تركيب فيه ولا تعقيد .

٤ — الأغانى الغزلية : وهى التى تترجم خلجات النفس وأمانى الفؤاد ، وتصوير ما يلاقى الإنسان فى حبه من توفيق أو فشل ، وأثر هذا التوفيق أو هذا الفشل فى حياته وتفكيره ...

٥ — الأغانى الصوفية : وهى التى يتداولها رجال (الذكر)

العين أن هذه القبرة تمثل شكلا هرمياً ، له قاعدة وأربعة أوجه ، فليس لنا أن نواصل وصف الأهرام كمخروط وهو ليس بمخروط

ومهما يكن من عدد ملايين النجوم والسدم ، أليس أقرب للذهن تصورها على كرة محدودة عن تصورها منتشرة فى فضاء لا نهائى ؟ هذه اللانهائية تتضاءل يوماً بعد يوم ، وإذا كانت هذه المجموعة يبتعد بعضها عن بعض ، فبدهى أنه يلزم لها حيز يكبر بحيث يقبل هذا التباعد ، ومن السهل أن نفهم ذلك لو تصورنا مخلوقات عديدة موزعة على الأرض. إن هذه المخلوقات لا يمكنها أن يبتعد كل واحد منها عن الآخر، دون أن تقترب فى نفس الوقت من أى كائن على الأرض ، إلا إذا تصورنا أن الأرض نفسها تكبر

هذا هو الكون يدلنا العلم أنه محدود وأنه يمتد فى جميع أنحائه، على نحو كرة المطاط السابقة ،أو حبائل الصيد المتقدمة، قد تدل الأيام على خطأ فى هذا التقدير، وقد تظهر هذه المسائل فى يوم آخر بلون جديد، ولكن إذا أردت أن تعرف شكل الكون من هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بدراسته، فقد دللتك على آرائهم ، وليس أمثال دى سيتير واينشتاين وأدنجتون وغيرهم ممن لا يقام لرأيهم وزن ، وغايتى بعد الذى وصلنا إليه أن أشرح للقارئ النتائج التى ترتبت على هذه الظاهرة الجديدة — ظاهرة تمدد الكون — نتائج أهم ما فيها الوصول لعلاقة بين الكون فى مجموعه ، وبين الذرة والالكترون ، أى بين الكون وأصغر ما فيه، بل الوصول إلى معرفة عدد ذرات وألكترونات الكون مهما كان هذا الكون عظيماً .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

ببراعة بارعة وقدرة قادرة على التصرف والخروج من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام ؛ ثم الرجوع إلى النغمة الأصلية والمقام الأول بسلامة ودقة .

٦ — أغانى العمال : ويستعملونها لمساعدتهم على أعمالهم الشاقة واحتمال ما هم فيه من حاجة وضنى .

٧ — أغانى الفرح : ويعبر بها الإنسان عن هنائه وسعادته وحبه لكل شىء جميل فى الحياة ...

٨ — أغانى الأطفال : وتستعملها الأمهات للتنبيه وللمناجاة ، ولجلب النوم ، ولإطفاء الغضب .

٩ — أغانى الحيوانات : ويستعين بها الرعاة والحداة على السيطرة على الحيوانات لتنتج أعظم إنتاج وأوفره ...

١٠ — أغانى النواح : وهى التى تجرى لحناً حزيناً مؤثراً فتلهب العواطف ، وتحرك القلوب ، وتثير الدموع .

١١ — أغانى المناسبات : وهى التى تغنى فى أوقات خاصة لمناسبات خاصة كأغانى رمضان ، وأغانى الحج ، وأغانى المواليد ، وأغانى الزار ... الخ .

١٢ — أغانى الكنيسة : وهى من أروع الموسيقى القديمة ولها لون يضفى على النفس إهاباً من السعادة والنور .

هذه بعض الأغانى التى تستعمل بعضها أكثر الشعوب استعمالاً يتفق وحضارتها أو تأخرها. فالشعوب الحية الناهضة تستعمل الأغانى الوصفية ، والحماسية ، والشعبية الخ ، وقلما تلجأ للأغانى الغزلية إلا فى القليل النادر ، وفى البيئات المحدودة، ثم هى لا تعرف أغانى الحزن أو تعرفها ولكن لا تعزفها . . !

والشعوب (الرخوة) المتأخرة هى التى تفنى نفسها فى أغانى الحب وأغانى الحزن ، وذلك لانعدام قدرتها على السيطرة على عواطفها ، والتحكم فى خوالجها فهى خاضعة لشهواتها ، أسيرة لغرامها ، لا تعرف من الحب إلا (آهاته وأناته ...) !

ولننظر الآن فى أغانينا لنحكم بأنفسنا على مبلغ ما وصلنا إليه فيها ...

إنها بلغت درجة الإسفاف والانحدار تأليفاً وتلحيناً وبخاصة فى السنوات الأخيرة ، حتى أن الشعب أصبح على رغم صيحات الإنكار وصرخات الاحتجاج التى يرسلها المصلحون الناقمون على هذا التبذل الرخيص والمشفقون على الوطن ، وشباب الوطن من هذا (اللون) المسترخى البغيض الذى يشيع فى كل كلمة وكل لحن والذى تتناقله الألسن إما إعجاباً ، أو محاكاة ، أو ترديداً لا أكثر ولا أقل .. !

أقول إن الشعب برغم كل هذا لا يحرك ساكناً ، ولا يرسل صيحاته وإعجابه إلا للمغنى الذى يبكى أمامه ويندب حظه وحبه ويبدى ذله ودموعه بشكل ضعيف سخيف ، وإلا للمغنية التى تتأوه ، وترثى حبها وحبيبها فتصف قلبها الذى أضناه البعاد ، وحسنها الذى أذواه السهاد ...

فإذا حاول مطرب بعد هذا أن يساهم فى حركة الإصلاح فغنى مشيداً بتاريخ بلده العظيم ، أو حاضا على النهوض والوثوب أو مصوراً جلال الحاضر ورفعة المستقبل ، لا يقابل إلا بالفتور

فمن ذا الذى خدر أعصاب هذا الشعب ، حتى غدا لا يستسيغ إلا الساقط المسترخى الذى لا يقوم على أساس ولا ينهض إلا على الأنين المدّعى ، والحنين المصطنع ؟

من ذا الذى فرض تلك الأغانى التى لا فكرة فيها ، ولا غرض منها إلا ابتذالها وانحلالها ؟

للشهرة نصيب ، وللجهل نصيب !

فقد انتهز بعض المشهورين بالنواح وبالبكاء فرصة هجمة الحياة المصرية ففرضوا (لونهم) على الشعب فرضاً ، وسمّموا حواسه وخدروها بالآهات المصطنعة ، وبالأنات المفتعلة ؛ ودأبوا طول هذه السنوات لا يغذونه إلا بهذا الغناء المسموم ، ولا يسمعونه إلا موسيقى جافة ميتة، وإلا ألفاظاً ساقطة لا حياة فيها ولا فكرة تحييها ، ولا غرض يسمو بها إلى آفاق المجد الذى تفيض به الأغانى الأجنبية حتى أصبحوا — الآن — حجاباً صفيقاً بين الشعب وبين نوابغه من الموسيقيين العباقرة الذين ظلمتهم الشهرة الطاغية ، فوقفوا صامتين مقيدين لا تسمح لهم ضمائرهم بالهبوط إلى هذا الدرك، ولا ترحمهم الحاجة الملحة إلى طلب القوت فترفع إليهم هذا الشعب الظالم نفسه وأهله

لا أريد هنا أن أسمى بعض المطربين والمطربات ، ولكننى أقول : إن بعضهم — وهم الذين يتحكمون فى سوق الأغانى

وفى سوق الإذاعة ، وفى سوق التمثيل السينمى فى هذا الوقت على الأقل — أقول إنهم قد اغتنوا واقتنوا ما يغنيهم عن استغلال أحط الغرائز الإنسانية التى لا تزال تتغذى منهم هذا الغذاء المجرم ! ما الذى يمنعهم من أن يساهموا فى هذه الطفرة المباركة التى ستنهض بالشعب عن طريق أغانيه ؟ ما الذى يمنعهم من أن يتركوا البكاء والعويل ويساهموا فى رفعة الشعب فيعرضوا عليه ألواناً من الحماسة والشجاعة والوصف الطبيعى الجميل ؟ إن تاريخنا مجيد سجدت له الدنيا ، وإن حاضرنا عظيم بنفوس أبنائه وهمة مليكه الشاب الفدى، فلم لا نخرج للدنيا ألحاناً خالدة خالية من الحب ، والغدر ، والهيام السقيم واللون الإفرنجى الذى يخالف ذوقنا وفننا كما أشار بذلك سيد الشباب وحفيد إسماعيل ... ؟

إن بلادنا غنية بجمالها وجلالها ، وإن شمسها وقمرها وسهولها وزروعها وتخيلها ونيلها، لو اتخذت موضوعاً للوصف والغناء لكانت فتنة للقلب، وسحراً للسمع، وإشادة صادقة بجمال صادق فذ فريد !

إن الشعب كالعجين فى أيدى الشعراء ، والزجالين ، والمطربين والمطربات... يتشكل بالشكل الذى يريده هؤلاء جميعاً فلم لا نهيئه للجو الذى نريده ويريده مثقفوه ؟ ولم لا نضطره إلى قبول هذا اللون الجميل الجليل بل إلى حبه وهو الذى يقبل منهم التافه المنحل ... ؟

إن الذين طبعوه على البكاء يستطيعون — لو أخلصوا — أن يطبعوه على حب المجد والتضحيه ومسايرة الشعوب الحية الناهضة القوية ، وإن الذين صوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا قلبه وحبه ، يستطيعون أن يصوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا مجد وطنه وفخر أمته

إن محطة الإذاعة يقع عليها جزء كبير من هذه التبعة فلن تكتفى منها بمحو كلمات (الذل ، والهجر ، والغدر) من الأغانى ، بل نطمع فى مساعدتها ومساهمتها فى هذا المشروع العظيم بكل ما تملك من سلطة وقوة... نطمع منها أن تمنع بتاتاً (أهازيج الغرام، وأدوار الهيام) وأن تشجع هؤلاء الذين يتقدمون إليها بأغانيهم القوية تشجيعاً يحفزهم على مواصلة عملهم والتقدم بفنهم إلى الأمام أبداً ...

عليها أن تضرب (بالشهرة) عرض الحائط ، وستجد من الشعب المثقف ومن الصحافة خير مشجع لها ومشيد بفضلها

إن الأمر لن يكلفها إلا القليل من الجرأة والإيمان بعدالة هذه القضية فهى متعاقدة مع بعض كبار الملحنين فلتكلفهم بتلحين جديد لكلام جديد ... فإن عجزوا فالباريات لن تعجز والجيل الجديد من الموسيقيين الناشئين المثقفين لن يعجز !

أعتقد أن وزارة المعارف وهى التى تشجع الفنون على اختلاف أنواعها لن تضن على الموسيقى بتشجيعها ، وعلى رأسها وزيرها الأديب ، ووكيلها الموسيقى بفطرته، والذى يتمنى أن يرى الموسيقى قد أخذت مكانها الرفيع فى التثقيف والتهذيب والتطريب القوى الذى لا انحدار فيه ولا استرخاء

إن الوزارة لو اشتركت مع محطة الإذاعة فى عمل مباريات تنظر فيها لجنة فنية من كبار الموسيقيين تكافأ بما يتناسب وجلال هذه المهمة لكانت خطوة موفقة، ولو كلفتهم الوزارة والمحطة بعمل قطع جديدة وكافأتهم مكافأة حسنة لكانت خطوة أكثر توفيقاً، وأكبر نجاحاً

أيها الناس ... لقد سئمنا الشهرة ، وسئمنا هذا الاستغلال الذى يتنافر وشرف الفن، ومللنا هذا البكاء المريض الذى لا يتفق وحضارتنا ، وكبرياءنا

نريد أن نحيا كما يحيا غيرنا . نريد أن نفخر بعزتنا ، وبوطننا ، وبمليكنا الذى يود أن يسمو بالأغانى عن منطقة الدموع والشهوات والقلب والحب ، والحسرات والزفرات . حتى لا يقال عنا إننا لا نعيش إلا لشهواتنا وقلبنا ..!!

محمد السيد الموبلحى

سينما الكرسال

ابتداء من يوم الاثنين ٢٠ مارس لغاية الأحد ٢٦ منه

يعرض الرواية الشهيرة لجورج أهنت

سرج بانين

تمثيل

بيير رنوار ، فرانسواز روزى ، أندريه هيرف ،

لوسيانه روزمبرج ، سلفيا باتاى

والرواية تدور وقائعها على حياة العظماء البورجوازيين فى سنة ١٨٨٠ والصراع بين الطبقة الارستقراطية والطبقات المتوسطة وهو صراع أدبى عنيف لا ينتصر فيه إلا القوى . أما شخصية مدام ديفارين العجيبة وهى مديرة المحل الشديدة القوية المخلصة التى تحافظ دائما على واجباتها وتعاقب بصرامة من يحنث فى وعده فتمثلها فرانسواز روزى .